الاتصال الوثائقي بالأندلس وقيمة الفهارس

د.ة. متاجر صورية
جامعة سيدي بلعباس

Abstract:

Scholars interested in Andalusia art authentication great attention, Venbg the jurists for, Volfoa where multiple books.

The authors took Documentation Andalusian character in this phase mixing between documentation and doctrine.

The altitude of the documentation as well as knowledge of Fiqh of basic science that compete with the scholars of Andalusia and has the Maliki school, and the first of a thousand in this science from the Andalusian is the world of Andalusia Abdul Malik bin Habib (d. 238 AH), has contributed to this science synthesizes and instruction.

Keywords:

Documentation - Information – Libraries – Sciences- Scientific activity

اهتم علماء الأندلس بفن التوثيق اهتماما كبيرا، فنبغ فيه فقهاء أجلة، فألفوا فيه مؤلفات متعددة الأشكال[1].وقد أخذت مؤلفات التوثيق الأندلسية في هذا الطور طابع المزج بين التوثيق وفقهه ويعتبر علو التوثيق إلى جانب علم الفقه من العلوم الأساسية التي تنافس عليها فقهاء الأندلس وقام عليه المذهب المالكي، وأول من ألف في هذا العلم من الأندلسيين هو عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب (ت 238هـ)، وقد ساهم في هذا العلم تأليفا وتدريسا.

غير أنه في العصر الحديث استحدث مف هوم آخر للتوثيق الذي يرتبط بالمكتبات وخدماتها، فتطلق كلمة " توثيق" بمعنى استخدام المعلومات المنشورة. وأول من استخدم مصطلح التوثيق، هما:" أوتليت" و"لافونتين" في أواخر القرن التاسع عشر بهدف إصدار البيبليوغرافيا العالمية[2]. إن استعمال مصطلح التوثيق بهذا المفهوم، سبب خلطا في أذهان الناس بينه وبين المفهوم الشائع لكلمة " توثيق" وقد أدى هذا الخلط إلى معارضة استخدام هذا المصطلح من بعض المشتغلين بعلوم المكتبات، أما المتخصصون في العلوم الإنسانية فيريدون استخدام " التوثيق" على المعنى التاريخي المرتبط بالوثائق.

وقد حمل هذا التشويش – الذي سببه إطلاق هذا المصطلح – المشاركين في مؤتمر تدريب المتخصصين في علوم " المعلومات" المنعقد في معهد جورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1962 على إصدار توصية بوجوب إلغاء كلمة " توثيق" و"موثق" وإدخال كلمة "معلومات مكانها"[3].

ومن مرادفات علم الوثائق والتوثيق عند علماء الفقه الإسلامي، علم الشروط وهو علم يبحث فيه عن كيفية سرد الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات، ويبحث في كيفية تدوين الأحكام الشرعية[4].كما يطلق لفظ وثيقة على أي نص مكتوب باليد على الورق(مستند)، أو منقوش على الحجر والفخار، وعلى الرسومات، وهو يختلف عن تعريف الدبلوماتية التي هي عبارة عن مستند مكتوب وفقا لصياغة معينة، ويشمل على فعل قانوني، واستنتاجا بأن المعرفة لا تحصل إلا من خلال المعلومات وبأنها وسيط لها.

لابد من الإشارة إلى أن مصطلح المعلومات ظهر تاريخيا وزمنيا امتدادا لمصطلح التوثيق الذي هو عبارة عن تداول المعلومات. فالتوثيق هو فن تجميع أشكال سجلات النشاط الفكري و تصنيفها للاستفادة منها في قنوات الاتصال الفكري و الوثائقي، كما أنه عبارة عن تسجيل للمعرفة البشرية و مصادر

المعلومات و تنظيمها بطريقة تكفل سرعة الوصول إليها. فالتوثيق هو تثبيت وإحياء للمعلومات، و هو وعاء للمعرفة وحافظ لذاكرة التاريخ و الأمة والحضارة. ومن هنا فإن توثيق المعلومة في إطار الاتصال الوثائقي من خلال كتب التراجم والطبقات الأندلسية هي المقصودة في هذا العمل وتحديد العلاقة بين الإنتاج الفكري التي يحمل تراث الكتب والعلماء في هذه العملية. وعلى إثر هذا كله فإن الاتصال الوثائقي يتضمن التحليل والتكشيف والفهرسة والاستخلاص للنتاج الفكري. وهي على الشكل التالي:

- التوثيق هو فن تجميع أشكال سجلات النشاط الفكري وتصنيفه.
- تسجيل نشاط المعرفة البشرية ومصادر المعلومات وتنظيمها وبثها بمختلف الطرق كالرحلة والتعليم والإجازة.
- علم تجميع مصادر المعلومات المدونة.
- اختيار المعلومات وتصنيفها.

أما الموثقون في الأندلس، فمنهم من كان يتولى توثيق الأمور السلطانية، ومنهم من تولى التوثيق لعامة الناس، وكانوا على إطلاع بالأحكام والمؤلفات المتخصصة لهذا الفن، إضافة إلى حسن الخط، ولكنهم تحت إشراف القضاة كما تولوا التوثيق في المنازل والمساجد، ومنهم من جمع إلى التوثيق بعض الخطط كالتوثيق والشورى، أو التوثيق والشرطة أو التوثيق والتدريس أو التوثيق والتجارة[5].

الاتصال الوثائقي في الأندلس:

إن ظاهرة استكمال كتاب سابق من كتب التراجم مؤشر على أن هذا النوع من التأليف قد امتد لعدة قرون، وظهوره لأول مرة في الأندلس والمغرب الإسلامي له أهميته ودلالته الثقافية، فعندما ألف ابن بشكوال كتاب الصلة كان هناك قلق في الحياة الفكرية في الأندلس تمثل بالثورة على التبعية المشرق الإسلامي، واعتبار الأندلس مجرد مقلد لتراث المشارقة، أو صدى لما يصدر من الشرق من أعمال فكرية وفنية. وأبرز من

يمثلون هذه الثورة ثلاثة من أكبر مفكري الأندلس ومؤرخيهم وهم: ابن حزم (ت 456 هـ/1064م)، وابن حيان (ت469 هـ/1076م) وابن بسام (ت542 هـ/1147م)

لقد ألف ابن حزم رسالة في فضل أهل الأندلس يدافع فيها عن الأندلسيين، ويوضح أن إسهاماتهم في الحضارة والثقافة الإسلامية إسهامات أصيلة[6].أما ابن بسام في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، فيذكر كبار مؤرخي الأندلس، وابن حيان يثور على التبعية الثقافية المشرقية، ثم يدون تراجم لمعاصريه من الأدباء الأندلسيين. ويبدو أن أسلوب " التتمات" في تدوين تراجم العلماء حتى عصر المؤلف، كان القصد منه عند ابن بشكوال وابن الأبار وابن عبد الملك هو إلقاء الضوء على أصالة العلماء الأندلسيين والمغاربة معا، وهذا هو الذي يفسر ظهور هذا النوع من معاجم التراجم في المغرب الإسلامي. ويلاحظ على فئة كتب التراجم أمران: أولهما أنها لم تظهر بوضوح إلا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وثانيهما أن أقدمها، طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب التميمي (ت:333 هـ/954م) .

يرجع هذا التغيير إلى استقرار الجاليات الأندلسية ببلاد المغرب عندما سقطت حواضر الأندلس، وحاولت هذه الجالية بناء ذاكرة جماعية مشتركة بين الوطن القديم والجديد على منوال ما فعله أصحاب التواريخ المحلية والأسرية.[7] وهاتان الملاحظتان توضحان بجلاء أن المعاجم الخاصة بتراجم الأعلام، لم تظهر إلا مع بداية ضعف الخلافة والتحول إلى مراكز أخرى كان لها ثقل سياسي في الدولة الإسلامية.

القيمة العلمية للفهارس والتراجم:

الجدير بالملاحظة في مجال الاتصال الوثائقي بالأندلس، هو ارتباطها بالبرامج

والفهارس، وهي تآليف تحتوي على مادة بيوغرافية وبيبليوغرافية، انتشرت على الخصوص ببلاد الأندلس. وتنبئ فهارس وبرامج الشيوخ عن سعة وكثرة مؤلفات علماء الإسلام، وتكشف عن أبواب شتى للمعرفة الإنسانية، كما تعتبر مدونات تضم أسماء الشيوخ ومؤلفاتهم، وقد اهتمت كتب الفهارس والبرامج بمختلف طبقات العلماء، وهذا رغبة منهم في الالتحاق بالسند والإجازة والعناية بالرواية. ظهرت مصنفات الفهارس والتراجم في حياة الأندلس الثقافية منذ المراحل الأولى، وتواصل الاهتمام بها حتى أواخر عهد الأندلس بالإسلام [8].

تعرف تجربة كتابة تراجم العلماء في الأندلس حضورا مميزا ضمن عمليات الكتابة التاريخية الأندلسية، أولا، وضمن بقية الثقافات التي عرفتها حركة التأليف في بيئة المغرب الإسلامي. ثانيا؛ فقد هيأ هذا أن يكون عمل هذه التجربة من بين الأصناف الثقافية المميزة التي تحفظ للأندلس حضورها النوعي ضمن التراث الثقافي الذي أنتجه الوجود العربي الإسلامي في مختلف مراحله التاريخية. تتميز أعمال هذه التجربة بمادتها التي ترتبط ببيئة الأندلس وما يتبعها من أحداث ووقائع، وتنصرف التراجم فيها إلى أسماء علمية درجت في هذه البيئة الأندلسية أو وفدت عليها من بيئات أخرى، فتعرف بنشاطها وتعرض أحوالها وموالدها ووفياتها وطبقات مشايخها، وتثير ما يتعلق بها من هاجس العلم وطلبه، وتحديد حوافز التحصيل والرحلة إلى أهله، وذكر ممكنات الكتابة عنه والتأليف في علومه وموارده، فمنها تستمد أخبار الأندلس وأحوال رجالها، ومنها يتعرف على حركة الثقافية والعلم التي شهدتها البيئة الأندلسية خلال مراحلها الإسلامية.

تنفرد التراجم بمناهجها الخاصة في العرض والترتيب، فتستوعب بهذا ما يعرف في مناهج الترتيب عند كتاب الرجال مشرقا ومغربا، إذ يكون

الترتيب على طبقات الحروف، أو طبقات الأسماء، أو الوفيات، أو طبقات أصناف الرجال علما وجاها وشهرة، أو طبقات الانتماء إلى مكان معين أو طبقات البلديين والغرباء، ويكفي أن يثار منهج ترتيب تراجم الفهارس، التي فاضت بالأسانيد التي توثق المرويات، ليكون نموذجا أندلسيا صريحا في هذا المجال، وذلك لتميزه عن بقية نماذج كتب الرجال والطبقات مشرقا ومغربا[9].

إن القارئ لكتب تراجم الأندلسيين، مما هو متداول بين أيدي الباحثين سيلاحظ منذ أول اطلاعه على مواد هذه الكتب؛ أنها تمثل خصوصية بيئة مميزة؛ لأنها تحتفظ بالمعالم التي تجعل الأندلس حاضرا بأمزجة رجاله، وطبيعة علمائه، وظروف الأحوال والأخبار التي تكتنف حياة أولئك الرجال، وأنشطة العلماء منهم في الحل والترحال.

وتسعى الترجمة الأنموذجية في كتب تراجم الأندلس إلى الحديث عن الثوابت التالية:

1. الاسم الكامل بكنيته واسمه ولقبه وانتمائه أصلا، ومكانا.
2. عرض مشيخة المترجم.
3. عرض الآخذين عنه.
4. الإلحاح في عرض رحلة المترجم به.
5. ذكر أحوال المترجم به وأخباره ونشاطه.
6. تسمية لائحة المؤلفات التي أنتجها المترجم به.
7. ذكر منتخبات من أعماله الأدبية.
8. ختم الترجمة بحدث تاريخي: مولد المترجم به ووفاته، ومدفنه.

نماذج من كتب الفهارس والبرامج:

سنأخذ ثلاثة نماذج من كتب الفهارس والتراجم، آملين ألا يكون اعتمادنا على هذا العدد فقط مدعاة للقول بأننا ألغينا من حساباتنا الحديث

عن البرامج والفهارس الأخرى. ولعل اختيارنا هذا العدد، ما يدل على أنها كتب مختارة، تتنوع في التنظيم والمحتوى، وتتفاوت في المستوى والترتيب والتأطير، والتثبت من حجم المعرفة العربية الأندلسية في هذا المجال. فالفهارس والبرامج لها فوائد عدة منها: نافذة علمية تساعد على خدمة العلم ونشره وجمع شتاته وتكشف عن الأجواء العلمية وزخم المعرفة، وتعمل على رصد مراكز التعليم وتكشف عن أنواع العلوم السائدة آنذاك، كما أنها تعد وثيقة مصدرية ثرية بالمعلومات، وتعد عنصر تقارب وتواصل علمي بين المراكز الإسلامية في مجال الاتصال الثقافي، كما ترصد لنا الروافد الثقافية المكونة للعلماء، والحياة العقلية والعلمية والسياسية السائدة في الأندلس.

تعتبر فهارس وبرامج الأندلسيين سجلا يكشف عن المنابع الثقافية والمصادر العلمية التي ارتوى منها العالم والأصول التي اعتمد عليها، وأهميتها تتبين في النقاط التالية:

1. تمدنا بصورة صادقة عن الحركة العلمية والحياة الثقافية في العصر الذي دونت فيه وتطورها.
2. ترسم لنا ملامح النشاط الذي يقوم به الطلبة وطرق تلقيهم العلم وأسلوب التدريس وطرقه.
3. المساعدة على معرفة الكتب المتداولة وإحصائها في مختلف الفنون والعلوم والنشاط الفكري في شتى الموضوعات.
4. توضح لنا العلاقات وطرق الاتصال العلمي بين الطلاب وشيوخهم.
5. تكشف لنا عن الكتب المفضلة عند الدارسين.
6. تمدنا بطائفة من البيانات الببليوغرافية المتصلة بحياة الكتب.

يتأكد لنا أن للأندلسيين خصوصية في مجال البرامج والفهارس، يدلنا على ذلك ما نراه من اهتمام العلماء في تأليفها وتصنيفها، وعكوفهم على

الاشتغال بتراجم علمائها، لأنهم تمكنوا من الجمع بين المكتبتين المشرقية والأندلسية. وتعتبر كتب الفهارس والمعاجم وثائق مهمة للغاية، ومصادر تتميز بعلو الإسناد وتعنى بضبط سلاسل العلماء، وتوفر للباحثين ولعلماء الحديث بخاصة المادة العلمية التي تساعد على رسم خطوط حركة التأليف والتوثيق عند الأندلسيين .وتحتوي هذه الكتب على سجلات وأوراق، قام المؤلفون بتسجيلها في كتبهم. وتكمن أهمية الفهارس أيضا التي أخذناها كنماذج للدراسة مثل فهرسة ابن عطية و فهرسة القاضي عياض وابن خير الإشبيلي في أنها نموذج أمثل لحركة الفهارس والبرامج في بلاد الأندلس خلال القرن السادس الهجري.

أ- فهرس ابن عطية:

صاحب هذا الفهرس هو ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب المحاربي ولد في غرناطة سنة 481 هـ-1087م. و توفي بلورقة سنة 546هـ/1152م، وصفه ابن بشكوال بقوله:" و كان حافظا للحديث، و طرقه، وعلله عارفا بأسماء رجاله و نقلته... و كان أديبا، شاعرا، لغويا" و وصفه الضبي بقوله:" فقيه زاهد محدث عالم"[(10)]. ويعتبر فهرسه من الكتب الأولى التي تطلعنا على حال الفهارس وبرامج الشيوخ.

تضمنت تراجمه لـ 30 شيخا، أخذ منهم ابن عطية، وترجم لهم، وحاول أن يطلعنا على أسلوب طلب الشيوخ للإجازة، وعلى طبيعة الكتب التي كانت سائدة في عصره، ولاسيما تلك التي رواها عنهم سماعا أو قراءة، أو مناولة أو إجازة وكان ابن عطية حريصا على ذكر معلومات أفادت الترجمة وأعطتها امتدادا اجتماعيا وثقافيا وعلميا. وعلى الرغم من أن مجموع الكتب التي رواها ابن عطية لا يتجاوز عددها(120) مائة وعشرين كتابا ذكر فيها سند بعض الكتب المروية، واحتوت أسماء المحدثين والفقهاء والعلماء

الأندلسيين إبان القرن السادس الهجري. يطلعنا هذا الفهرس، الذي يعتبر من الفهارس المكتملة على أسلوب تلقي العلم، وطريقة الحصول على المعلومات، ونوعية الكتب التي كانت منتشرة في الأندلس، على أن أكثر ما يسترعي النظر لمن يتتبع خريطة الكتب، وتبادل العلم والمعلومات في الأندلس انتشار الفهارس، والاعتراف بأهميتها في مجال التعليم، واحتفل فهرس ابن عطية بذكر فهارس علماء الأندلس المتداولة إبان القرن الخامس الهجري، مثل فهرسة أبي عمر الطلمنكي، وفهرسة ابن خليفة الأنصاري المالقي، وفهرسة محمد بن عتاب. وهي أشهر فهارس علماء و شيوخ الأندلس في القرنان الخامس والسادس الهجريين. توفي ابن عطية سنة 541 هـ/1145م بمدينة لورقة [11].

ومهما يكن من أمر هذا الفهرس، فإنه يشكل حلقة من حلقات الاتصال العلمي التي كان العلماء يتطلعون إلى مباشرته باعتباره أحد أركان تدوين الفهارس والبرامج. كما يعتبر من أهم الكتب التي احتوت على معلومات تفيدنا في معرفة الكتب ونوعيتها وأسلوب تلقي العلم وعلاقة الطالب بشيوخه، وطرق التدريس وأسلوبه في المحافل التعليمية أو المدن الأندلسية. وقد احتفت بذكر عدد لا يستهان به من أسماء الرواة والمحدثين و القضاة والفقهاء و العلماء، ممن ازدان بهم القرنان الخامس و السادس الهجريان، وما رووه و ما أنتجوه. كما شارك ابن عطية في وضع أصول علم البرامج والفهارس، ورسخ مفهوم طلب الإجازة والسماع والقراءة، ويشكل هذا الفهرس حلقة من حلقات الاتصال العلمي والوثائقي وأحد أركان تدوين الفهارس والبرامج والمشيخات، كما يعتبر من أهم الكتب التي احتوت على معلومات تفيدنا في معرفة حركية الكتب ونوعيتها، وطرق التدريس و التعليم في المدن الأندلسية، وأسماء الشيوخ العلماء [12].

ب– الغنية: فهرسة شيوخ القاضي عياض:

ولد أبو الفضل عياض بن محمد اليحصبي، بمدينة بسبتة سنة 476 هـ/1083م، ورحل إلى الأندلس في سنة 507 هـ/1113م، وتوفي بمراكش سنة 544 هـ/1149م سمى فهرسته بالغنية، التي تعتبر وثيقة هامة تبين لنا عن طرق الاتصال الثقافي والفكري، وحركة التبادل العلمي بين المغرب والمشرق، ولعل أول ما يلاحظه القارئ لفهرسته العدد الضخم للكتب التي رواها، حتى صار مدار الرواية في الأندلس، إذ ضمت الغنية (211) كتابا، و(98) ترجمة لشيوخه. ويعتبر كتاب الغنية وثيقة مهمة من وثائق القرن السادس الهجري الفكرية، حيث يظهر حركات الصلات الثقافية بين العدوة والأندلس، و مواقع هذه الحركة و مواضعها الناشطة، و دور سبتة الثقافي و الفكري إبان القرنين الخامس والسادس الهجريين، و مدى أثرها و تأثيرها في الحركة الثقافية بين المغرب والأندلس.ويتضمن كتاب الغنية ضوابط موثقة السند و الرواية، وتظهر فيه طائفة من المصادر التي استقى منها القاضي عياض ثقافته التي أخذها قراءة و رواية و سماعا.[13].

ويبدو من خلال دراسة الغنية، أن القاضي عياض قد جمع بين الطريقتين. فهو يستشهد بأقوال العلماء. وفي الوقت ذاته يستشهد بالبرامج والفهارس، والدليل على ذلك ما خصصه لهذه الفهارس من مساحة في نهاية كتابه حيث بلغ عددها(33) ثلاثة وثلاثين فهرسة[14].

جـــ –فهرسة ابن خير الإشبيلي:

هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الإشبيلي (502-575 هـ/1108-1179م) ولد في إشبيلية وتوفي بقرطبة، يعتبر كتابه (فهرسة ما رواه عن شيوخه) من أغني الكتب التي تمسح مقتنيات المكتبة الأندلسية، بحيث أراد أن يحول اتجاه الفهارس والبرامج من الاهتمام بالشيخ والترجمة له، إلى

الاهتمام بالموضوع، وجمع المادة العلمية في موضع واحد، فوضع ابن خير أسس تبليغ العلم ونشره وتعليمه من خلال الحمل والرواية والتأدية والتبليغ، ومعرفة طرق الرواية وسماع الراوي وعرضه للكتاب، وسماع الشيخ، ثم مناولة الشيخ، فإجازة الشيخ[15].

إن فكرة تقسيم الموضوعات لدى ابن خير، مكنته من تجاوز تصنيف ابن النديم في (الفهرست)، حيث أضاف إلى تصنيفه الموضوعي: التصنيف المكاني والزماني، ووصل بين الحاضر والماضي بالإسناد، وهو ما لم يتطرق إليه ابن النديم، واعتبر العمود الفقري لكل معرفة صدرت عن الأندلسيين[16]. ولقد تمكن ابن خير لأول مرة في القرن السادس الهجري أن يجمع في مؤلف واحد ثقافة المشرق وثقافة الأندلس، مبينا سبل الاتصال بين المشرق والأندلس من خلال خطين متوازيين: الاتجاه الأول ينحاز نحو المشرق وكانت قاعدته الرحلة، والاتجاه الثاني ينحاز نحو الأندلس، وكانت قاعدته وفود العلماء إلى الأندلس وجلب الكتب المشرقية.

وتشير الإحصائيات التي تضمنها الكتاب[17] ، أن فهرسته مكتبة قائمة بذاتها، وجاءت موصولة السلسلة، قدمها له علماء نقلوها بالتواتر إلى زمانه وذكرت فهرسته على ما يزيد عن 90 فهرسا، و90 ديوان شعر وهكذا فقد جمع ابن خير بين ثقافة المشرق وثقافة المغرب والأندلس في سفر واحد بصورة متوازنة، لذلك اعتبر كتابه قاعدة معلومات حول طبيعة التأليف العربي الإسلامي واتجاهاته.

اختار ابن الخير لعرض مروياته ترتيب المصنفات على حسب العلوم التي تنتمي إليها. ومع ذلك، فقد ذكر ابن خير عددا لا يستهان به من كتب التاريخ الأندلسي والمشرقي، وكتب الأنساب والمغازي والسير، كما ذكر عددا من كتب اللغة المؤلفة في الأندلس، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (1): إحصاء الكتب عند ابن خير:

المصنفات حسب التخصصات	ابن الخير الإشبيلي
القرآن وعلومه	131
الحديث وعلومه	194
التاريخ	132
الفقه وأصوله	36
التغذية	4
الحساب	10
الرؤيا	4
العقائد	197
اللغة والأدب	507
الفهارس والمعاجم	115
المجموع	**1330**

كان الهدف من كتب البرامج والفهارس نقد الرجال ورصد تحركاتهم العلمية وتعيين مقدار تحصيلهم ورسم أسلوب ضبطهم، وتسجيل ما قرأوه وما سمعوه وما كتبوه ودونوه واقتنوه من كتب العلم، والحفاظ على نقاء الضبط والرواية في الأندلس، والصيغة التي غلبت على عمل ابن الخير الإشبيلي كانت الصيغة التعدادية أو الإحصائية، وهذا من خلال الاهتمام بالدقة العلمية في تحديد المعلومات.

لا شك في أن ابن خير يربط في مقدمته بين أكثر من قضية تعليمية متخذا أسلوبا لتوصيل المعلومات والأفكار، فالجدل والرواية والتأدية والتبليغ

والسماع والإجازة، جميعها وسائل يعتمد بعضها على بعضها في الاتصال المباشر، وهي تشكل وسيلة للنشر والإذاعة للأفكار.وقد تضمنت فهرسة ابن الخير (180) طريقة اتصال في (102) مؤلف، كما دون ابن الخير وسيلة التحمل بـ 117 ضمن 180 طريقة اتصال، واستعمل المصطلحات التالية للتحمل: حدثنا – سمعنا – أخبرنا – أنبأنا.وتم إحصاء 34 مرة: إجازة، 20 مرة: قراءة، 9 مرات: مناولة[18].

رتب ابن خير كتابه الفهرسة على أساس الموضوعات أو العلوم، وتحت كل موضوع أو علم أدرجت أسماء الكتب التي ألفت فيه وأسماء موضوعاتها دون ترتيب محدد، والموضوعات الآتية هي التي تم ترتيب الكتاب على أساسها.

أعلام القرآن	**السير والأنساب**
الموطآت	**الفقه**
كتب الحديث	**أصول الدين**
كتب التاريخ	**الفرائض**
التراجم	**الآداب واللغات والأشعار**

ويبين الجدول التالي التوزيع الموضوعي للمصنفات التي يذكرها ابن خير وعددها في كل موضوع:

جدول (رقم2) التوزيع الموضوعي للمصنفات عند ابن الخير:

رقم المصنفات	الموضوع	عدد الكتب
1	**علوم القرآن**	105
2	**الموطآت**	17
3	**المصنفات المسندة**	21
4	**المصنفات المتضمنة للسنن**	33
5	**سائر كتب الحديث**	105

6	علل الحديث ومعرفة الرجال	85
7	السير والأنساب	18
8	الفقه على مذهب الإمام مالك	36
9	أصول الفقه	22
10	كتب الأشربة	6
11	الفرائض	11
12	الرؤيا	5
13	الزهد والرقائق	45
14	تأليف أبي بك بن أبي الدنيا	9
15	تأليف أبي سعيد بن الأعرابي	3
16	تأليف أبي بكر الأجري	23
17	تأليف أبن ذرعن المهروي	74
18	اللغات والآداب	32
19	تأليف أبي علي بن عبد الغفار	6
20	الآداب واللغات	202
21	الشعر	42
22	ما ذكره أبو مروان بن سراج	20
23	ما ذكره أبو العلي الغساني	6
24	ما ذكره أبو الحجاج الأعلم	7
25	ما جلبه علي البغدادي من أخبار	98
26	ما روي من الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ	75

27	**اتساع الرواية من جهة الإجازة**	71
المجموع	///	1177

لم يذكر ابن خير معظم البيانات البيبليوغرافية عن الكتب التي سجلها بل توسع في معنى الإجازة الذي أثر على هذه البيانات بالتقصير.لقد قدم ابن الخير أشرف العلوم وأفضلها لما حظي به في بيئته من اهتمام، فبدأ بذكر مصنفات علوم القرآن، فعلم الحديث فالسيرة النبوية فالفقه، وغيرها. وجمع في نسق واحد مختلف مصنفات النحو واللغة والأدب. وختم مروياته بذكر مجموعة واسعة من تآليف الرجال.وقد أتى فيه على أكثر الأسماء العلمية المعروفة آنذاك. حاول ابن الخير فرز المصنفات التي يجمعها علم واحد، كما فرز داخل العلم الواحد المصنفات التي تتقارب مواضيعها ويتشابه اختصاصها.

وهكذا صنف مروياته في علوم القرآن، فقدم بالدواوين الخاصة بالقراءات، ثم بناسخ القرآن ومنسوخه، ثم بكتب الأحكام فكتب التفسير، فغريب القرآن، فمعانيه وإعرابه ففضائل القرآن فقراء القرآن وحملته فالأمثال الكامنة في القرآن.

إن أهم ما يمكن أن يستفيده الباحث من أسانيد فهرسة ابن خير الإشبيلي، هو رصد التأثيرات الثقافية المتبادلة بين مختلف البيئات في المشرق والمغرب. فبواسطتها نستطيع أن نتتبع رواة الأندلس في رحلاتهم المشرقية وهم يتصلون بهذا الشيخ أو ذاك أو يجلبون مصنفه أو رواياته. وبواسطتها نستطيع أن نتتبع رواة المشرق ممن لهم رحلة إلى الأندلس لفرز تلامذتهم الذين حملوا عنهم، وتحديد العلوم والمصنفات التي جلبوها معهم. وبواسطتها أيضا نستطيع أن نترصد حركة المصنفات وهي في طريق تنقلها من المشرق مثلا إلى الغرب الإسلامي. ومن فوائد فهرسة ابن خير الإشبيلي ما يلي:

- التعريف بالرجال ممن ترد أسماؤهم بين رواة الأسانيد.
- تمييز الرجال، وهي عملية تدخل ضمن الاختصاص الثقافي الذي ينزع إليه ابن خير، فهو محدث راوية.
- التعريف بأصول المصنفات المجلوبة إلى الأندلس.
- تحديد بعض مواقف الأندلسيين من بعض المصنفات.
- التعريف بطبيعة التأليف الأدبي في بعض المصنفات، ولاسيما المادة الشعرية. والجدول التالي يوضح لنا الضبط البيبليوغرافي للإنتاج الفكري لكتب الفهارس والبرامج للكتب المنتقاة في الدراسة، وهي حسب التقادم في الوفيات:

جدول رقم (5): الإنتاج الفكري لكتب الفهارس والبرامج.

المؤلف	الكتاب	عدد الشيوخ المترجم لهم	عدد الكتب	عدد الفهارس	عدد المؤلفين
ابن عطية المحاربي	**فهرسة ابن عطية**	33	120	-	-
القاضي عياض	**الغنية**	98	211	33	-
ابن الخير الإشبيلي	**فهرسة ما رواه عن شيوخه**	-	1177	90	705
المجموع	//	**131**	**1508**	**123**	**705**

أظهرت لنا هذه الإحصائية مدى ولع الأندلسيين بتأليف البرامج والفهارس لأسباب مختلفة، كما ولعه بجمع الكتب، وتظهر المقارنة أن البرامج

والفهارس المشرقية تقوم على إحصاء الكتب وتعدادها، وبذلك تختلف عن كتب الأندلسيين من حيث الشكل والمحتوى، فهي لا تحصي فقط، وإنما تحصي وتعرف بما هو متداول، ومتجاوب بما يتطلبه المجتمع الأندلسي.

يعتبر هذا العمل حصيلة عملية جرد لتراث الأندلس المدون، ويدخل هذا العمل التوثيقي في سياق عمليات التوثيق والاتصال الوثائقي بالأندلس ما بين القرن الثاني والسادس الهجريين، لذلك فهو يقدم في صيغته قوائم المؤلفين والمؤلفات الأندلسية الذين شملهم الجرد، وهي طبعا قوائم مفتوحة، لأنه من البداية تجب الإشارة إلى أنه من الصعب الحصول على أرقام يقينية لعدد المؤلفين والمؤلفات لاعتماد عليها في الدراسة والتحليل، وذلك لعدم توافر البيانات الدقيقة حول هذا العنصر، وهذا يعبر في حد ذاته مقياسا لصعوبة المهمة.

تشكل كتب معاجم الشيوخ دواوين لأسماء أجيال حملت أمانة تبليغ المعارف والعلوم إلى تلاميذها، و يمكن أن نطلق على المعاجم و البرامج " مصطلح البيبليوغرافيا التكوينية أو البيبليوغرافيا الحيوية"[19]، و تتضح أهميتها في المجالات التالية:

- ❖ تمدنا بصورة صادقة عن الحركة العلمية والحياة الثقافية في العصر الذي دونت فيه تطورها.
- ❖ ترسم لنا ملامح النشاط الذي يقوم به الطلبة وطرق تلقيهم العلم وأسلوب التدريس وطرقه.
- ❖ المساعدة على معرفة الكتب المتداولة وإحصائها في مختلف الفنون والعلوم والنشاط الفكري في شتى الموضوعات.
- ❖ توضح لنا العلاقات وطرق الاتصال العلمي بين الطلاب وشيوخهم من جهة وبين علماء المشرق والأندلس من جهة أخرى.
- ❖ تمدنا بقائمة من البيانات الببليوغرافية المتصلة بحياة الكتب: العنوان، اسم المؤلف، اسم الشيخ الذي قرأ عليه، سنده، المكان.

وتبنى معاجم الشيوخ أساسا على التوثيق، فالتعريف بالشيوخ وإسناد المرويات يقصد منه الضبط وتوثيق مصادر العلم وطرقه، ويتجلى التوثيق من خلال الرواية، والقيمة التوثيقية للفهارس تظهر من جهة اعتماد الأسانيد، ومن جهة إثبات طرق التحمل عن الشيخ: قراءة وسماعا وإجازة ومناولة ومكاتبة، وإعلاما ووصية ووجادة[20].

تقدم لنا مقدمات كتب التراجم الأندلسية عامة، وكتب البرامج والفهارس خاصة، صورة واضحة لما كان عليه الحال عند المؤلفين الأندلسيين، وهي تمدنا بصورة واضحة للحركة العلمية والثقافية والفكرية في العصر الذي دونت فيه، وترسم لنا النشاط الإنساني، وتساعدنا في التعرف على الكتب المتداولة وسرعة تداولها، وأماكن تأليفها، وتحدد مكان العلم والتعلم. لذلك اعتبرت مكتبة التراجم ومكتبة برامج التعليم الأندلسيتين مكتبتين مهمتين للغاية.

الإحالات:

(1) عبد اللطيف، أحمد الشيخ، التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي بإفريقية والأندلس من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع عشر الهجري، الإمارات لعربية المتحدة: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،1425هـ/2004، ج1، ص: 333.

(2) عامر إبراهيم، القنديلجي وآخرون، الكتب والمكتبات: المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات، القاهرة، 2002، ص92

(3) نفسه، ص94.

(4) عبد الله، الحجيلي، علم التوثيق الشرعي، الرياض:مكتبة الملك فهد الوطنية، 1424هـ/2003م، ص ص 42-43.

(5) حول هذا الموضوع راجع التراجم التالية:

* ابن بشكوال، أبو القاسم خلف، الصلة في تاريخ علماء الأندلس (اعتناء وشرح: صلاح الدين الهواري)، ط1، بيروت:المكتبة العصرية، 1423هـ/2003م.

-أصبغ بن عيسى بن أصبغ اليحصبي، كان عاقد الشروط، توفي سنة 418 هـ ت: 253.
-أحمد بن سعيد بن علي الأموي، كان له غاية بعقد الوثائق، توفي سنة 428 هـ/ت: 78.
*أبو الوليد عبد الله بن محمد، ابن الفرضي، المصدر السابق. التراجم التالي:
-قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار، كان يلي وثائق الأمير، توفي 278 هـ-1049 م.
-إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم بن زياد، كان يعقد الشروط، توفي سنة 384 هـ ت: 221.

(6) في القرن السادس الهجري يؤلف ابن الآبار (ت 658 هـ/1259م)، كتاب التكملة لكتاب الصلة. وبعد ذلك يفعل ابن عبد الملك المراكشي (ت-703 هـ/1304م)، الشيء نفسه مع كتاب ابن الآبار في الذيل والتكملة والموصول بعد الصلة. وهو موسوعة شاملة لعلماء الأندلس والمغرب حتى عصره، ولذا نجد فيه تكرارا لبعض التراجم التي وردت في كتب التراجم التي سبقته. وقد تواصل تذييل كتب الصلة في بلاد المغرب بعد لجوء الجماعات الأندلسية إليها. أما ابن الزبير الغرناطي (ت-708 هـ/1308م) فأكمل العمل بكتابه صلة الصلة: نشر أغلب أجزائه: القسم الأول نشره: محمد بنشريفة، بيروت: دار الثقافة، د.ت، 2ج. كما نشر إحسان عباس: القسم 4 و5 و6، بيروت: دار الثقافة: 1965، 1973، ثم نشر بنشريفة القسم الثامن، ج2، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984. و أيضا: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم: ابن الزبير: صلة الصلة، (تحقيق: ليفي بروفنصال)، الرباط: المكتبة الاقتصادية، ثم حققه ونشره: عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، في 4 أقسام (1413 هـ-1993م)، (1414-1416 هـ/1994-1995م).

(7) عمارة، علاوة، "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، **مجلة التاريخ العربي**، الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 32، خريف 1425 "2004"، ص ص 331-369. ويعتبر الوزير لسان الدين بن الخطيب آخر من اهتم بفن الصلة، إذ أشار إلى ذلك في كتابه (أوصاف الناس في التواريخ والصلات) وكتب صلة على صلة ابن بشكوال تحت عنوان (كتاب عوائد الصلة)، مع إدراج العلماء المغاربة. انظر: لسان الدين، ابن الخطيب، أوصاف الناس في التواريخ والصلات وتلها الزواجر والعظات، (تحقيق: محمد كمال شبانة)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1423 هـ/2002، ص190. و أيضا: يعتبر هذا الكتاب في قائمة الكتب المفقودة، وقد أشار إليه ابن الخطيب: 17 مرة في كتابه: الإحاطة في أخبار غرناطة (نشر: محمد عبد الله عنان)، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973.

(8) حامد الشافعي، دياب، "فهارس وبرامج الشيوخ ودورها في الضبط الببيلوغرافي للإنتاج الفكري في الأندلس"، **مجلة دراسات عربية في المكتبات والمعلومات**، السنة الثانية، العدد 3، سبتمبر 1997، ص ص 72-72.

(9) للمزيد عن منهج هذا الترتيب يرجى العودة إلى الدراسات التالية:

- جورج، عطية، الكتاب في العالم الإسلامي (ترجمة: عبد الستار الحلوجي)، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 297، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، أكتوبر 2003، ص ص 176-198.
- عبد الله المرابط، الترغي، فهارس علماء المغرب: منذ النشأة إلى غاية القرن الثاني عشرة للهجرة، ط1، تطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1420 هـ/1999، ص703.
- عبد الله المرابط، الترغي، "ابن الخطيب في كتابة الترجمة"، **مجلة كلية الآداب**، السنة الثانية، العدد1، تطوان، 1408 هـ/1987م، ص ص 209-233.

(10) أنظر ترجمته في:

- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج8، ص 364، (ت: 984).

- الضبي، المصدر السابق، ص 408، (ت:1280).

(11) أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحاربي، فهرس ابن عطية (تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي)، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص139 و189.وأيضا: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، المعجم في أصحاب القاضي الأمام أبي علي الصدفي، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1387هـ/1987م. ، ص 261

(12) العمد، هاني، كتب البرامج والفهارس الأندلسية: دراسة وتحليل، ط1، نشر الجامعة الأردنية، 1993، ص ص 82-92.

(13) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الغنية، ط1، (تحقيق: ماهر زهير جرار)، بيروت: دار الغرب الإسلامية، 1402 هـ/1982، ص44.

(14) الغنية، ص ص 228-230.

(15) أبو بكر محمد بن خليفة الأموي، الإشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ط3، منقحة، القاهرة: مكتبة الخانجي: 1417 هـ/1997م.

(16) هاني، العمد، المرجع السابق، ص98.

(17) عدد الكتب المذكورة: 1177 كتابا، و705 مؤلفا.

(18) بين الباحث الجزائري تواتي، بأن الكتاب فرض نفسه كوسيلة اتصال وثائقي في الحضارة العربية الإسلامية مع نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي راجع:

Houari, TOUATI, Islam et voyage au moyen âge, Paris, Seuil, 2000, pp.259-297.

(19) Ibid,p.75.

(20) حول طرق تحمل العلم (الحديث)، أنظر: البلوي، أو جعفر أحمد بن علي الوادي آشي، ثبت البلوي (دراسة وتحقيق: عبد الله العمراني)، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/1983م، ص ص78-85.